

تعظيم سلام " للحرية " في دين الإسلام؟؟؟!!.



الجمعة 5 سبتمبر 2014 12:09 م

كتب السعيد الخميسي :

* الحرية تنتزع ولا توهب , لأن من يملك منحها يملك منعها . فالحرية ليست صدقة جارية من أنظمة الحكم الشمولية لشعوبها , تتصدق بها عليهم وقت ما تشاء , وتنزعها وتسلبها عنها وقت ما تشاء . فنحن عندما ننظر إلى البلايل في أقفاصها, نحن لن نطلقها ما لم تزعجنا دوماً بصوتها وصفيرها[] ولكن إن سكنت وسكنت سكنتا وسكتنا جميعا . وسوف تتلذذ بالنظر إليها وهي في أغلالها وقيودها وأقفاصها . هكذا الشعوب عندما يحبسها ويقيدها حكامها في أقفاص الديكتاتورية , ويلقون إليهم من خلف القضبان بفتات الطعام وكسرات الخبز وقطرات الماء , ثم ترقد الشعوب داخل أقفاصها في سبات عميق بلا صوت ولاصفير ولا حركة , فإن الحكام لا يمنحون الحرية لتلك الشعوب في المناسبات والأعياد القومية لأنهم ينظرون إليهم بأنهم في درجة أقل من العبيد . وكفاهم ما يتناولونه من فضلات الطعام والشراب . ستظل الشعوب داخل الأقفاص والحكام يستعبدون الناس مالم يضحوا في سبيلها ويسعون إليها أكثر من سعيهم على الحصول على لقمة العيش .

* السمكة إذا خرجت من الماء لاتستطيع التنفس وتموت , وفي خروجها من الماء تلاقى مصيرها بوضعها في الزيت المغلي ليتلذذ بتناولها والتهامها من كان ينتظر لحظة خروجها من الماء . والطير إذا قص ريشه يحزن وينكمش وتقرأ الحزن في عينيه . يشعر الطير أنه أصبح مهيب الجناح لا يستطيع التحليق في أجواء السماء بكامل حريته فيصاب بالهزال والنحافة حتى يموت لأنه فقد أعلى ما في حياته , ألا وهي حريته . والقطعة إذا حبستها في غرفة مغلقة وأعطيتها الطعام والشراب فإنها تضرب عن الطعان والشراب , وتظل تتجول في الغرفة تبحث عن نافذة مفتوحة لتقفز منها إلى عالم الحرية لترى الشمس والقمر , فحريتها أهم من الطعام والشراب لأن أرض الله واسعة ورزق الله لا ينفذ أبدا . أما شعوبنا العربية فقد خرجت من الماء , وتم قص ريشها , وحبست داخل أقفاص الديكتاتورية ومازالت تلك الشعوب راقدة بل إن شئت راكدة كالماء المتجمد في البحر الميت لا حراك لها ولا صوت لها ولا صفير لأنها عشقت حياة الأقفاص؟؟؟!!.

* فالحرية هي القدرة التي تمكن الإنسان من التعبير عن رأيه وتفعل إرادته على أرض الواقع دون معوقات أو سدود أو ترويع أو تخويف وتهديد من جهة ما . لذا فإن الإسلام جعلها فريضة واجبة لأنه جاء لتحرير العبيد والرقيق وجعل كل الناس سواسية أمام القضاء والقانون كأسان المشط , لا فضل لعربي على أعجمي أو أبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح . ولم يجعل الإسلام الحرية مجرد " حق " من الحقوق يجوز لصاحبه أن يتنازل عنه لغيره . لقد اعتبر الإسلام " الرق " بمثابة الموت , وجعل الحرية " حياة " لذا جعل الإسلام عتق الرقبة أى إحياءها , كفارة للقتل الخطأ , فكما قتل القاتل نفسا بغير حق عن طريق الخطأ فعليه أن يحرر نفسا مستعبدة مقيدة في سلاسل الرق والعبودية . هذه نظرة ديننا الجميل الحنيف للحرية .

* يقول صاحب " الظلال " الإسلام إعلان عام لتحرير الإنسان . فالإسلام جاء لهدم صرح الجاهلية " وأقصم بالجاهلية فترة ما قبل الإسلام " وليس لترميمه والعيش فيه وهو ممتلئ بالشروخ والتصدعات وجدرانه مائلة آيلة للسقوط في أي لحظة . كما أن الإسلام لم يأت لترقيع ثوب الجاهلية المهلهل بل جاء لخلع هذا الثوب تماما واستبداله بثوب الإسلام الأبيض الناصع . وجعل الإسلام المدخل الأهم لتحرير الإنسان وعقته من تلك الجاهلية هو حصوله على حريته ليعيش حرا لا يستعبده بشر أو طاغية ويمارس عليه اختصاص الربوبية والإلوهية لأن ذلك من صفات الله عز وجل فقط وليست لأحد من عباده . إن القيصرية الرومانية والكسروية الفارسية وهما القوتان العظمتان في تلك الفترة استطاعت تحويل كل شعوب المستعمرات إلى رقيق وبرابرة . فجاء الإسلام ليذكرهم أن الله خلقهم بشرا أسوياء .

* لقد ذهب الإسلام بالحرية إلى أبعد مدى ممكن أن يتصوره العقل البشرى المجرد . أرايت كيف أن الإسلام منح الإنسان حرية العقيدة ومن ثم حرية الإيمان أو الكفر " فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر " وقال أيضا " لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي " . ليس هناك مدى أبعد من ذلك في احترام الإسلام لحرية الفرد . والعجيب أن النظرة الإسلامية للحرية قد ربطت قيمة الحرية بالإنسان , مطلق الإنسان بصرف النظر عن دينه سواء كان مسلما أو غير مسلم . فهو حر في أن يؤمن وهو حر في أن يكفر طالما أن الكفر هو محض اختياره . لا يوجد دين أرقى واسمي من دين الإسلام في تصوره لحرية الإنسان وكل النظريات والأيدولوجيات والمذاهب الأرضية لتقف

انتباه لتعطى تعظيم سلام لدين الإسلام على احترامه لحرية الإنسان منذ المهد إلى اللحد .

* لقد حرر الإسلام الإنسان من طواغيت الأرض . فأفراد الله بالإلوهية هو جوهر تحرير الإنسان من العبودية لغير الله . إنها العبودية للذات المنزهة عن النقص أو المادة أو الفناء . ووضح ذلك جليا حين وقف الشهيد الطيار " جعفر بن أبي طالب " أمام النجاشي ملك الحبشة حين سأله عن سبب اضطهاد الوثنية القرشية للمسلمين فقال رضي الله عنه : " أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف . " هذه هي معاني العبودية الحقيقية " فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام" . .

* وجوهر المشكلة لدى كثير من فاقدي الحرية، أنهم لم يفهموا ما معنى أن تعيش حراً فالحرية تمنحك إنسانيتك وبشريتك ، تشعرك بقيمتك ووجودك وكرامتك وعزك وشرفك . وأنت كائن لك معنى ولك أهمية ودور فعال في هذه الحياة فالحرية هي بداية التحضر والتقدم . ولم يعرف المسلمون التقدم إلا عندما أعطوا الحرية ، وشعروا أنهم أناس لهم قيمتهم في هذه الحياة، وحدث التخلف عندما سحبوا بساط الحرية من تحت أرجلهم ومنحوها للآخر يتحكم بهم وفيهم كيف شاء . فالحرية هي دلالة لصحة بيئتك الفكرية . لقد كان العرب رعاة غنم قبل الإسلام يتناحرون على مواشي العشب والكلام والماء ، وكانت الحروب الدامية تنشب بينهم بسبب الكلاً والعشب وليس ببعيد عن ثقافتكم التاريخية حرب " داحس والغبراء " التي استمرت 40 عاماً بسبب حصان وفرس ف لذا فقد أطلق العرب على تلك الحروب والمناوشات اسم (أيام العرب) . وأيام العرب كثيرة أغلبها صدامات ومناوشات . واليوم القريب شبيه بالأمس البعيد؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

* فالحرية ليست علم يدرس في المدارس والجامعات ، أو مهارة تكتسب كل حسب مهارته وقدراته . إنها فطرة وحاجة إنسانية . هي كالطعام والشراب فأنك لكي تعيش لا بد أن تأكل وتشرب، وكذلك لا بد أن تكون حراً لكي تعيش إنساناً لا حيواناً تقاد حيث يشاء الآخرون لا رأى ولاقيمة لك .. وكما أنك تبحث عن الطعام والشراب وتسعى لتوفيره فالحرية كذلك يجب أن تبحث عنها وتسعى لتحصيلها مهما كان الثمن المدفوع فيها والتضحية المبذولة من أجلها . إننا نخاف من الحرية لأننا لا نعرف قيمتها وأثرها ونتائجها المثمرة على المجتمع . نخاف من الحرية لأننا نرفع شعارا جاهليا " إل تعرفه أحسن من إل ماتعرفوش؟؟؟ " . إننا نخشى الحرية لان بيننا وبين العبودية عقدي أبدى غير قابل للتغيير . نخاف الحرية لأننا نخشى فتح النوافذ لنشم رائحة الهواء النقي ، لأننا تعودنا على استنشاق الغبار والتراب في مجتمع لايقدر ولايؤمن قيمة الحرية الحقيقية . الإسلام حررنا ولكننا أبينا إلا الاستبداد والاستعباد وبالروح والدم نفيدك يازعيم ، حتى جف الدم وطلعت الروح إلى بارئها تشكو إلى الله ظلم العباد .